

# النشاط الثقافي في العالم

## فرنسا

رسالة باريس من وحيد النقاش

(( واجب العنف )) ... كاتب وجائزة

\*\*\*

من أهم ما صدر عن مطابع باريس في الشهرين الأخيرين ، في ميدان الخلق الأدبي ، رواية لكاتب افريقي شاب من مالي يقسم في فرنسا منذ ستة أعوام ، وهي أول انتاج أدبي له . الرواية عنوانها (( واجب العنف )) والكاتب اسمه : بامبو أولوجويم . وبعد الاحتفاء الشديد الذي قوبلت به من جانب النقاد ، قدر لها أن تحصل على جائزة « ريتودو » لاحسن عمل روائي هذا العام ، وهي واحدة من الجوائز الهامة التي تتوج بعض أعمال الكتاب المخضمين أحيانا ، فاذا حصل عليها كاتب شاب بعمله الاول كان ذلك في نظر جمهوره القراء نوعا من التقدير الذي يفخر به الى صفوف الناشئين مرة واحدة .

ولم يكن اهتمام النقاد (( بواجب العنف )) وبمؤلفها منتما الى ذلك الاهتمام الشائع الذي يوليه الفكر الغربي ، بسطحية أحيانا ، الى كل ما يأتي من بعيد ، من قارة غريبة تثير الاحلام ، ولكنه كان اهتماما منصبا على تمييز هذا الكاتب القادم من مالي عن بقية كتاب افريقيا ذوي التعبير الفرنسي أو الاجنبي عامة ، وعلى تفرد عمله وأصالته بالقياس الى كل الانتاج الأدبي الروائي الاخر الذي تصدره القارة السوداء الى العالم الاوروبي ، والذي غالبا ما يخطئ طريق العودة اليها .

ذلك ان بامبو أولوجويم ، كما قال أحد الكتاب الصحفيين في صورة سريعة رسمها له ، يريد أن يكون زنجيا كامل الزنجية . وليس من شأن هذا التشبث من جانبه لا ارضاء البيض الذين يستمرون في أغلب الاحيان على ايثارهم للزنجي الخاضع ، ولا ارضاء اخوته فيسي الجنس الذين لا زالت القلة النادرة منهم هي التي تريد أن تتحمل تبعات زنجيتها . فكل ذلك لا يهم هذا الفتى المالي الذي يعرف منذ عدة سنوات ماذا يريد ، والذي يفضض كل أشكال الخطابة ويتمرد على كل مساومة ، ويمضي في الطرق التي تبدو في نظره أشد الطرق مباشرة الى بلوغ الهدف . وما هنا نستطيع أن نستشير الخطوط العريضة التي رسمها الصحفي الفرنسي ( فيليب ديكراين - الموند الابي ١٢ - ١٠ - ١٩٦٨ ) لنمطي فكرة القارئ العربي عن الكاتب الافريقي الجديد .

وأولوجويم يرجع أصله الى منطقة مرتفعات بانداجارا حيث خلعت بعض أحلام علماء الانثولوجيا الفرنسيين جمالا وسحرا على الاساطير المتنوعة التي لا تحصى هناك حول نشأة الخليقة ، وذلك من بعد الاعمال العلمية التي قام بها البروفسور مارسيل جريول . وبامبو أولوجويم بسبب أصله ذلك يمتلك الكبرياء والشجاعة في أعلى درجاتهما : فهو معتد بنفسه الى درجة تستفز البعض ، وشجاع الى حد اللاوعي ، وجسور منهور حتى انه يعيش في حالة من التحدي الدائم . وأحاديثه التي يسوقها برقة وعدوبة إنما تفضح عما يكمن خلفها من فكر صارم متمسك .

سته أعوام من الحياة في فرنسا ، وشهور طويلة من ممارسة التعليم في ليسيه شارنتون وفي المدرسة العالية الصغيرة بكونفلان ، واعداد لدبلوم الدراسات العليا في الانكليزية ، الذي اجتازه بنجاح ، ثم شهادة الاجريجاسيون في الآداب ، كل ذلك لم يغير شيئا من الرؤية الافريقية الحقيقية للاشياء التي ظلت تلازمه . والحق ان

بامبو أولوجويم يعتبر ان عملية « التخلص من الاستعمار لم تتحقق بعد » وهذا هو السبب الرئيسي الذي يدفعه الى أن يرفض أن يوضع بالقياس الى كتاب ماليين آخرين . ومع ذلك فان في روايته « واجب العنف » روحا تذكر القارئ المنتبص للادب الافريقي ببعض اعمال مواطنه سيدو باديان كوياني ، وهو وزير ورجل أدب معا ، وأحد المنظرين للاتحاد السوداني (١) ، الحزب الاوحد في مالي . ولكن ذلك ليس رأي أولوجويم ، فهو يرفض كل المؤلفين الافريقيين في مجموعهم تقريبا ، دون أن يستثنى أبا منهم بالاسم على حدة ، ويؤكد بخصوصهم قائلا : « لقد عاجوا فولكلورا زهيد القيمة بفرض أن يطمئنا محبي الزواج والعاطفين عليهم بلا شرط ولا جزاء » .

واذا كان الاطار الذي تدور فيه أحداث روايته الاولى يبدو لنا موجودا في مالي ، فان ذلك ليس الا وهما . وهو يفسر ذلك بقوله : « لقد حرصت على أن يكون لدي ديكور واسع ممتد ، مزروع في قلب افريقيا الامبراطوريات العظمى مثلما يمكن أن يكون في الكونغو أو في السودان الانكليزي المصري سابقا ... ولقد تتبعت خلال قصتي خط المسير الذي أعطاه عالم الانثولوجيا ديلافوس للزواج المنحدرين من ملكة سبا . وهذه الرحلة أفصت بي الى عالم ذي ابعاد ثلاثة تتكون من : الكتاب المقدس والقرآن والوثنية » . ويرسم المؤلف صورة تاريخية عريضة ، ملحا بغير وضوح الى مملكة « اف » التي خلبت تماثيلها البرونزية لب القصور الملكية الاوروبية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ومشيرا كذلك الى قبائل الزولو الافريقية والاسترالية أو الى المالكين في غينيا الحالية ومالي الحالية أيضا . وهو يؤكد على ما يطلق عليه بنفسه : « مطامحه الملحمية » وخطته الكبيرة في أن « يتوصل في النهاية الى فضيحة السياسة المعاصرة » . فهل يعني ذلك ان بإمكاننا العثور هنا على مفتاح شخصيته الرئيسية ؟ كلا . وهو يفسر ذلك بقوله : « ليس هنا من شخصية رئيسية ، ولكن هناك نظام افريقي كامل يتكون من التجاذب بين ستين من الشخصيات الافريقية والاوروبية ... » .

لقد اتفق الكاتب الافريقي الجديد أربعة أعوام في كتابة قصته (( واجب العنف )) ، أربعة أعوام لم تشط عزيمته . وما هو ينتهي بعدها من انجاز « رسالة مفتوحة الى فرنسا الزنجية ، موجهة الى الجنرال ديقول « جدي العزيز ومحوري » ! لا يزال يبحث لها عن ناشر . وهي تعتبر بطاقة مفتوحة لكل ضحايا مناهضة العنصرية . ويمكن لنا أن نأخذ فكرة عن النبرة العامة لفكر أولوجويم في مجموعه حين نقرأ له الفقرة التالية : « في اللحظة التي تلبس فيها قلوبنا شفقة على بيافرا ، ننسى ان هناك فييتنام أيضا ، تلك التي ليست منذ أكثر من عشرين عاما شيئا آخر سوى بيافرا الصفراء ... » .

ومع ذلك فلسوف نلاحظ ان المشكلة لا تزال قائمة ، تلك المشكلة المستحيلة الحل التي يطرحها الأدب الافريقي ذو التعبير الفرنسي : هل ينبغي أن يدخل ذلك النتاج الجديد ، رغم مضمونه ، في اطار التراث الأدبي الفرنسي ، أم سيبقى رغم لغته ، ضمن الثروات الفنية التي تعيش في القارة الكبيرة . طرحت المشكلة منذ سنوات ولم تحل ، ولا يبدو انها سوف تحسم الا عن الطريق التقليدي وهو طريق الترجمة ، حتى يتاح لتلك الاعمال أن تترد الى منبعا وتتفاعل في بيئتها وتأخذ قيمتها الحققة . لا زال قراء ذلك الأدب هم الجمهور الاوروبي ، فكيف تتم دورة العمل الفني ويتدفقه جمهوره الاصلي الذي هو أهم من أي جمهور آخر بالنسبة له ؟

## شولوخوف .. والفن الواقعي الاشتراكي

\*\*\*

- ١ -

ما من شك ان ميخائيل شولوخوف هو شهادة للفن الواقعي الاشتراكي في الاتحاد السوفياتي ، وفي الدول الآخذة بالنظام الاشتراكي وفقا للاشتراكية العلمية .

ولم يكن شولوخوف بحاجة الى جائزة نوبل كي يشتهر فنانا واقفيا اشتراكيا ، فان عمله الرؤوب ، التواصل ، المثابر ، وانجازاته الفنية وفتوحه في الرواية ، قد وضعته ، منذ زمن ليس بالقصير ، في مصاف الفنانين العظماء .

ومع ذلك فان منحه جائزة نوبل جاء تقديرا من الجانب الآخر ، وعلى صعيد رسمي ، لانجازات شولوخوف غير العادية والخرافة ، ولكن هذا التقدير جاء متأخرا ، حتى ان أحد أعضاء الاكاديمية السويدية ، التي قررت منحه جائزة نوبل ، اعترف بقوله : ان التقدير ، في الحقيقة ، جاء متأخرا بعض الشيء ، ولكن ليس أكثر مما ينبغي لحسن الحظ ليضاف الى قائمة الذين فازوا بجائزة نوبل اسم من ابرز كتاب عصرنا .

ومع كل هذا ، وبرغمه ، فان شولوخوف قد وجد تقديره الذي يستحقه على صعيد رسمي .

وفي منح الجائزة كانت الحيايات تقول ان ذلك تم تقديرا « للقوة والوحدة الفئيتين اللتين اعطى بهما فسي ملحمته « الدون » تعبيراً خلاقاً لمرحلة من تاريخ الشعب الروسي » .

فما قصة الدون هذه ؟

ولماذا اعتبر تقدير شولوخوف ، من ناحية أخرى ، تقديرا للفن الواقعي الاشتراكي ولاسلوب الاشتراكية ومدرستها ؟ وبم يمتاز شولوخوف ؟

- ٢ -

لا نظن ان هذا المقال الموجز يستطيع الاجابة ، بشكل واف ، على كل هذه الاسئلة المهمة ، المشروعة ، والتي لا مناص منها في تساؤل شخصية شولوخوف الفنية . ولكن من شأن هذا المقال ومن حقه ان يشير الى اسس الاجوبة على هذا السؤال .

اذا اعتبر تقدير شولوخوف تقديرا للواقعية الاشتراكية فليس هذا بامر مبالغ فيه . بالعكس انه الحقيقة بالذات ( لقد كان رئيس اتحاد الكتاب السوفيات على حق تماما ، حين صرح ، بهذه المناسبة ، يقول : « ان تقدير موهبة شولوخوف يؤكد الشرف العظيم الذي حازه الكتاب السوفيات والادب الاشتراكي » .

والتصريحات التي تطلق بهذا الصدد غير قليلة لا في الاتحاد السوفياتي فحسب ، بل على الصعيد العالمي .

وحتى شولوخوف نفسه قد أكد هذا في تصريحاته وأجوبته بهذا الخصوص . واذن فنحن ملزمون بتبيان اصول فن الواقعية الاشتراكية ، ومميزاتها على وجه العموم ، لنرى ، بالتالي ، كيف انعكست في ادب شولوخوف ، وكيف كان شولوخوف ، بالذات ، رسولا لها وممثلا بقصة « الدون الهادي » التي نال بها الجائزة ، أو بسواها ...

\*\*\*

يعتمد أسلوب الواقعية الاشتراكية ، في الاساس ، على مبدأ تصوير الواقع في تطوره الثوري . وعدا المؤلف عن ان السمة المميزة

لواقعية الاشتراكية هي « النظرة الاشتراكية للكاتب نفسه وموقفه السياسي والايديولوجي ، معبرا عنه في تصوير صادق للواقع » ، كما تقول تامارا موتيلفا ، عالمة الجمال والناقدة الادبية السوفياتية ، فان النظرة الكلية الشاملة ، والنفاذ الى الجوهر في الانسان والحياة والمجتمع بوحدة عضوية حية للشكل والمضمون مع التناؤل التاريخي ، الذي يأتي هنا خلاصة تفاعل للبناء النفسي والفني والفكري والحدي للامر الادبي ، هما سمنا ان خريان تعنونان اسلوب الواقعية الاشتراكية في البلدان الاشتراكية وغير الاشتراكية .

تقول تامارا موتيلفا : ان الواقعية الاشتراكية تميل الى تصوير الانسان في تطوره ، والى دراسة اضطراباته الروحية المتشعبة وشديدة التعقيد غالبا ، في علاقتها بالنمو الايديولوجي للناس واسهامهم في الحركات الاجتماعية . فان شعراء واقعيين اشتراكيين كيوهان بيجز ، وناظم حكمت ، وبابلو نيرودا ، وروايمييسن كاراغون ، وبويمانوف ، وسيكروز ، وكتابا مسرحيين كبرخت وكروتشكوفسكي قد اغنوا فن الادب ببعض الشواهد الفذة على تصوير الشخصية البشرية باساليب عصرية على درجة كبيرة من الكمال .



ان الواقعية الاشتراكية ليست ضد الجديد والتجديد والاساليب الجديدة ، انما هي نطلبها ، لا على نحو ميكانيكي الي ، وانما بتفاعل خلاق للمضمون والشكل ، وتطلب مضموني للشكل الذي يلائمه .

ان تحطيم الاشكال الادبية التقليدية ليست موضحة أو نزوة فسي رأس هذا الفنان أو ذاك ، انما هو عمل مرتبط بصميم الاسلوب الفني ، وبطبيعة متطلبات العمل الفني المعين ، في اللحظة المعينة والظرف المعين . فالواقعية الاشتراكية ليست جامدة ، بالعكس ، انها تستشر ، على نحو خلاق موارد الحياة ، كل مكتشفات التكنيك الادبي والفني ، شريطة صلاحيتها لاحتضان المضمون الجديد ، وشريطة تفاعلها مع المضمون وتصادي ذلك وتماطيسه مع روح العصر الذي يعيش فيه الفنان . وفي ذلك تقبول موتيلفا : « في سبيل أن ترقى الواقعية الاشتراكية الى مستوى الهام الايديولوجية التي تواصلها ، يتعين عليها أن تواصل النفاذ ، بشجاعة ، الى أعماق الحياة العقلية والروحية لكل الافراد والامم . ولا شك ان الكتاب التقدميين في يومنا هذا يفتنون السير في مسالك هذه الاكتشافات ، حتى لو استدعى ذلك تحطيم الاشكال الادبية التقليدية » .

ان وعي الكاتب يساعده كثيرا ، شريطة ان يسبق ذلك توفر موهبة فنية ناضجة ، في تصوير الواقع في تطوره الثوري . ولا يشترط أن يكون الفنان الاشتراكي داعية ، فالعمل الفني في جوهره وطبيعة عمله ونتائجه ، يقود الى تدعيم قوى الخير والتقدم . على ان ميكانيكية وطبيعة الدعاية تختلفان بشكل اساسي عن

وفي النمو الحداثي ، وهي بالتالي تقدم المجال للنمو الفكري ، الذي يجعل النمو النفسي وجها من وجوهه .  
وتقول الكاتبة السوفياتية كيسييليا في مقال لها عن أسلوب شولوخوف : انه في انسان واحد يفتح عالم كامل على مصراعيه . . ان هذه الميزة ليست نادرة عند شولوخوف ، وهي عموما ليست سهلة بالفكر الذي يتصور ، وليست شائعة عند اكثر الكتاب الروائيين . فهنا ليس التفصيل ، وانما التكتيف والتشريك ، مع حد لا يضارع من الانتباه والتعاطف مع الحدث والصورة والبطل ، هو الذي يلعب دوره .

### - ٣ -

وفي قصة « الدون الهادي » ( وهي الرواية الملحمية التي تمتد في أربعة أجزاء ضخمة ) ، نجد أسلوب شولوخوف الفردي المميز ، ومميزات الواقعية الاشتراكية ، في وقت واحد معا .  
انهما لم يتجاوزا صدفة ، وانما كانا بفعل واقعية شولوخوف الاشتراكية ، وقبل ذلك بفعل فنية شولوخوف الواقعية المميزة .  
ان الواقعية الاشتراكية تؤكد كل الوقت تنوع الاساليب ، وتفرد الشخصية الفنية ، وتنفي الرتابة ، والروتينية ، والنمطية .

انها تنهل من الحياة عضويتها وحيويتها ، وتنهل من روح العصر غناه وتعقده ، وكلية جوانبه ، وتقدميته ، وثورته ، وتنهل من الاشتراكية انسانيته واشتراكيته ، وتنهل من الواقعية اسلوبها الواقعي الخلاق الذي يفيد من سائر انجازات المدارس الاخرى ويطورها .

ان الحديث عن « الدون الهادي » باعتبارها ممثلة وعاكسة لكل مميزات شولوخوف الاسلوبية ، او لاكثرها الجوهرية ، هو حديث طويل يستحق كتابا . وحسبنا ، هنا ، أن نشير الى اصول هذه الملحمة .

يمضي الجزء الاول من « الدون الهادي » مقسما لوحة غنية شاملة للحياة العامة . النماذج هنا من القوزاق ، قبل الثورة الاشتراكية وبعدها . وشولوخوف لا يعرض على نحو « موضوعي بارد - مما يهيم به علماء الجمال البرجوازيون - وانما يعرض على نحو ذاتي - موضوعي انساني . وبمعنى آخر : انه يخلق النماذج والصور ، ولا يعكسها عكسا آليا ، وانما يضيف شيئا من روحه ، وهو مع البطل الايجابي ( وليس كل أبطال روايات شولوخوف ايجابيين ) ، صديق ورفيق وناقل ومصور وفنان .

ان حياة القوزاق الفنية تتمثل ، على نحو هادف ، دون أن تضع التفاصيل في زحمة العمل الدعائي ، كما يحدث هذا ، أحيانا ، عند البعض . والوضع الطبقي في هذه المرحلة الهامة من حياة وتاريخ الدون يعكس ، بشكل فني ، مفيدا من الدقة ، والمران الطويل في التصوير ، وقبل ذلك ، واليه ، من التحليل النفسي ، والنمو النفسي لأبطال أمثال الميكانيكي ايفان كوتلياروف ، والصحفي ميخائيل كوشيفوي ، وميلخوف الذي يتعرض لكثير من المعاناة والمذابح الروحي بسبب صراع نفسي متطاوّل ومشروع .

ان المؤلف يبرز التناقضات في هذه النماذج ، وفي طبقة الفلاحين المتوسطة والفنية . ومشاهد الحرب الاهلية تصور على نحو موضوعي ، فالضحايا هم الضحايا ، والحرب هي الحرب .

ويمتد الوصف في الجزئين الثاني والثالث في لوحات كاملة تتراوح بين الواقعية والرومانسية ، على نحو ملحمي ، يفيد من روح القرن العشرين ، أكثر مما يربو الى القرن التاسع عشر . . ويعرض للنفس البشرية بكل لواعجها من حقد وحب وأمل وآس ، وضعف وشجاعة ، وطموح وانهايار ، وتشبث بالجديد .  
كل هذا يرسمه المؤلف بأصابع فنية تعتمد البناء النفسي للانسان

ميكانيكية وطبيعة العمل الفني . فالدعاية عمل ايديولوجي ، فكري ، موجه لا يحفل بالصور الفنية وبالاسلوب الفني ، اما العمل الفني فهو عمل فني قبل كل شيء ، لكنه ملتزم من ناحية أخرى بالواقع وروح العصر ، وهو يحمل جوهرًا ايديولوجيًا . فالافتتان بالعمل الفني يكون على أساس من الجوهر الايديولوجي ، وترابط الايديولوجية بالفنية ، في الواقعية الاشتراكية ، هو ترابط حي خلاق ، ومرن . ان الفنان يعتمد على الاقتناع وهو يخاطب الانسان ، يخاطب ضميره . وهو في ذلك يعتمد على كل الوسائل اللازمة لاقتناع القارئ بما يريد أن يقول ، وبما يريد أن يصور . وهذا الاقتناع للقارئ لا يأتي على نحو ميكانيكي ، أو تصفي ، أو بمرسوم أو بفرمان . . انه يأتي من داخل العمل الفني نفسه ، وبوسائل فنية ، ويتوجه وتناول فني للموضوع والحدث ، دون أن يضيع جوهره الايديولوجي ، وهذا هو ما يفعله شولوخوف في رواياته . فالرواية عند شولوخوف هي ملحمة الفن الواقعي الاشتراكي . وهذه الملحمة عدا تميزها بالانابة والصبر الطويل ، والثابرة في عملية خلقها وتصويرها وتقديمها الى القارئ ، فهي تفعّل فعلها الحالي والايديولوجي ، ناقلة القارئ الى ذرى من العمل الفني الجبار ، وبإثارة الثقة في الانسان ، ومدافعة عن الجميل والتقدمي في الحياة وعن كل ما هو خير فيها ، ومكافحة كافة قوى الشر والقبح والمهمل والدناءة والانتهازية والانسانية .

ان هذا العنصر الملحمي في رواية شولوخوف يميزه عن اكثر فناني الواقعية الاشتراكية . وهذه الميزة ليست هبة بمقدار ما هي انجاز خاص . ان الجوقية وديالكيتك الروح ، والنهل الفني الخلاق من العصر الفولكلوري الشري للشعب الروسي والاوكراني وللبيئة القوزاقية ، كل هذا قد ساعد شولوخوف ، الى حد بعيد ، في توفير بعض متطلبات العنصر الملحمي في الرواية . ومن ناحية أخرى ، استطاع شولوخوف ، بهذا ، أن يحتفظ بالشخصية المحلية ، دون أن يفقد الجوهر الانساني الشامل .

ان هذه الوحدة بين الخاص والعام ، والتي تتم على نحو آسر وموار بانفاس الحياة الحارة اللاهبة ، هي بعض جوهر أسلوب شولوخوف في الفن الروائي .

وثمة عرق فني ومميزات أسلوبية تربط بين شولوخوف وبين سلفه الواقعي الانساني الكبير ليو تولستوي . فدبالكتك الروح ، والملحمية ، عند تولستوي هما بعض ما يميز الجوهر الاسلوبي للفن الروائي عندهما . ومع ذلك فروح العصر عند كل منهما تنعكس بشكل كامل .

ومرة أخرى نعود الى القول لا على نحو آلي ، وانما على نحو من التفاعل الحي ، وعلى صعيد من الوحدة العضوية لشكل ومضمون يلحمان بالعصر ايديولوجيا ، وفنيا ، وتكنيكيا .

### \*\*\*

حسنا ، وماذا عن البناء النفسي ، الذي يهيم به البعض ، متهمين ، في ذات الوقت ، الواقعية الاشتراكية بغلوها منه ؟  
هنا نستطيع القول ان مثال « شولوخوف » في الرواية ، هو مثال جاد ، ومثال حافل بالدروس والمعطيات . فالنوع الفني ، وتعدد الزوايا التي ينظر منها « شولوخوف » الى الحدث لا ينبغي اعتياده على التحليل النفسي . انه يرافق أبطاله ، ويمنحهم فرص النمو النفسي والتطور بشكل مقدم ، يخلو تماما من التمسك ، والامرية ، ومن تدخل الفنان بأصابعه المباشرة .

ويكاد القارئ في بعض الاحيان يحس عفوية كاملة ، بسبب الانسيابية والاستطراد ، وتداعي الافكار والخواطر ، ولكن هذه العفوية لا تنمو صدفة ، انها بعض ما يعين « شولوخوف » على التوغل في عالم أبطاله الروحي .

ان هذه العفوية ليست متصنعة ، بالعكس انها حافلة بعنصر شعري ، وبغنائية آسرة ، ومع ذلك فهي تعين في التخطيط الروائي ،

البسيط ولكافة أبطال الرواية وشخصياتها .

ان ثورة اكتوبر التي ترمي امام الدون ، تقنع ، بشكل تدريجي احيانا ، وبشكل طفرة احيانا اخرى ، وبمختلف الاشكال عموما ، وبكل الوسائل الواقعية الحياتية .. تقنع سكان الدون ، وجماهيره البسطاء ، بالانضمام الى صفوفها . لكن هذا لا يحدث على شكل ميكانيكي ، او بصورة حتمية عمياء . ان بعض الابطال يؤمنون ، وينهارون ، كما ان بعض الذين لم يؤمنوا اساسا يتدرجون الى ايمان حقيقي . والمؤلف لا ينفي الضعف البشري ، ولا يحتقره ، بل يحنو عليه . وهو في نظرته الشاملة والانسانية يعتمد الجيد والخير في النفس الانسانية ، لكنه لا يبدؤا ظهريا السلب ، والسالب ، والضعف الانساني . وبذلك يتوفر عنصر الاقتناع ، الذي يساعد في توفيره ، من ناحية اخرى ، عدم التدخل المباشر من قبل الفنان شولوخوف . ان القصة تسير كامواج النهر ، لا بشكل قدرتي يفتقد الهدف ، وانما بشكل يتصاعد من الداخل ، وينمو في الذهن البشري ، في الخلايا الحية ، وعلى نحو هادف ، لكن بشكل مقنع . ان العنصر الطبقي منقرف في قصة « الدون الهادى » تماما ، قدر توفر العنصر الانساني ، وقدر توفر العنصر الايدولوجي . هذه العناصر لا تفصل بعضا عن بعض ، وانما تتداخل وتتفاعل ( بل ان العنصر الايدولوجي يحتضن العنصر الطبقي ويقدمه سمة من سماته ) وتتطور ، ممتدة سائر المظاهر الحياتية ، ومتحققة من خلالها .

ويجد الحب مجاله الخصب في الرواية ، فاكسينا استاخوفسا هي انثى قادرة على أن تعطي ما أعطته مدام بوفاري . وحين تمسوت تلثقي مع حبيبها في مونولوج داخلي يقول فيه : « كل شيء انتهى » ، « لقد أصبت بافدح ما يمكن أن يصيبني » . ويلثقي بأخرى هي ناتاليا لقاء مزرها في بستان مزر ، فنسممه يقول :

« كل هذا يا ناتاشا من أعباء الحياة . اننا نمشي دائما على حافة الموت . و احيانا نستطيع أن نتجاوز الثلم » .

\*\*\*

رواية « الاراضي المستصلحة » هي نموذج آخر للمحيمية شولوخوف ، وواقعيته الاشتراكية في انجازاتها الخلاقة . واذا كانت رواية « الدون الهادى » تصورا لتدعيم السلطة السوفياتية والاشتراكية ، في مشاهد الصراع مع قوى الماضي الاقل ، فان رواية « الارض المستصلحة » تمثل البناء الاشتراكي . وقد أنفق شولوخوف نحو أربعة عشر عاما بين الجزء الرابع والجزء الاول من « السون الهادى » ، أما بين الجزء الاول والجزء الثاني من « الارض المستصلحة » فتمتد ثلاثون سنة !

ولعل أزوع ما قرأت في تميمين رواية « الدون الهادى » هو ما قاله ألكسي تولستوي ( في مقالته « ربع قرن من الادب السوفياتي » - مجلة « العالم الجديد » - « نوفى مير » ، العدد ١١ - ١٢ ، عام ١٩٤٢ ) : « ان شولوخوف قد جاء الى الادب بموضوع ولادة المجتمع الجديد في مخاض فواجع وتراجيديا النضال الاجتماعي في قصة « الدون الهادى » ، فكشف شولوخوف عن عنصر ملحمي مشبع برائحة الارض ، وعن تصوير خلاق لحياة فوزاق الدون . لكن هذا لا يحدد موضوع الرواية الكامل ، فالدون الهادى من حيث لفته ، واخلاصه ، وانسانيته ، وشفافيته ، هو اثر فني روسي عام ، واثر وطني واثر شعبي » .

ان هذه الشهادة الادبية لشولوخوف هي شهادة لعبقريته فنه الواقعي الاشتراكي ، وهي تفني عن كثير من البيان .

جليل كمال الدين

موسكو

# التحدي الصهيوني

بقلم جاك دومال وماري لوروا

ترجمة نزيه الحكيم

( اضواء على إسرائيل )

« ان حكاية الذئب والحمل هي ، في خطوطها العامة ، حكاية النازية . وهي كذلك حكاية الصهيونية ، هذا الخطر الجديد الذي يهدد اليوم سلام العالم ، ويهدد ما لا يزال للانسانية من قيم سامية .. ومطمحنا في هذا الكتاب هو ان نلقي مزيدا من النور على قضية جوهرية ، يرتبط بها مصيرنا في ما يأتي من الشهور والاعوام ... »

« ان وجهة النظر العربية هي مئة في المئة وجهة العدالة والحق ، وهي ايضا بالتالي وجهة الواجب . وكل العرب يعرفون ذلك ، وكثيرون من الاسرائيليين يعرفونه ايضا ، ولكنهم مضطرون للصمت ، وكثيرون من « اليهود » في العالم يشاركونهم هذا الرأي ... »

« وجمال عبد الناصر كان على حق حين قال : « ان الصهيونية ليست تحديا لشعب فلسطين وللامة العربية ، بل هي تحد للانسانية » . »

هذا ما يقوله مؤلفا الكتاب جاك دومال وماري لوروا اللذان يفضحان في فصول شيقة صادقة اساليب اسرائيل وخداعها واجرامها ... والجدير بالذكر ان المؤلفين هما صاحبا كتاب « جمال عبد الناصر ، من حصار الفالوجة الى الاستقالة المستحيلة » .

وكتابهما هذا الجديد « التحدي الصهيوني » يصدر في اللغة العربية قبل صدوره في اللغة الفرنسية الاصلية .. والواقع ان نشره باللغتين الفرنسية والانكليزية يلاقي صعوبات كبيرة بسبب تأثير أجهزة الاعلام الصهيونية على مؤسسات النشر في العالم الغربي كله ... من هنا أهمية هذا الكتاب وخطورته ...

الثمن ٣٠٠ ق.ل.

صدر حديثا